

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التاسعة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حدثاته سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

إن تلك الحياة الجادة التي عاشها شيخ الإسلام ابن تيمية في صغره وشبابه أثمرت المكانة العالية له في مستقبل حياته من العلم والعمل ، ومن ذلك قوته في مرضاة الله وصبره على الشدائد، واحتماله إيها، وثبوته على الحق إلى أن توفاه الله تعالى على ذلك، صابراً محتسباً راضياً شاكراً.

كان (رحمه الله) من أعظم أهل عصره قوة ومقاماً وثبوتاً على الحق، وتقريباً لتحقيق توحيد الحق، لا يصدده عن ذلك لوم لائم، ولا قول قائل، ولا يرجع عنه لحجة محتج، بل كان إذا وضع له الحق يعرض عليه بالنواجذ، ولا يلتفت إلى مباين معاند، فاتفق غالب الناس في زمنه على معاداته، وقد تستر من عاداه باسم العلماء والزمرة الفاخرة، وهم أبلغ الناس في الإقبال على الدنيا، والإعراض عن الآخرة .

ولا شك أن العلم في كل زمان ومكان يكون لهم أعداء ممن طمس الله بصائرهم وأعمى أفئدتهم ، فجانبوا الحق واتبعوا الباطل ، ورغبوا في العاجلة ونسوا الآجلة ، وأولئك الذين عادوا شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) كان سبب عدواتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرئاسة، وإقبال الخلق، ورأوه قد رقاها الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها، وهم عنها بمعزل، فنصبوا عدواته وامتلات

قلوبهم بمحاسدته، وأرادوا ستر ذلك عن الناس حتى لا يفطن بهم فعمدوا إلى اختلاق الباطل والبهتان عليه، والوقوع فيه، خصوصاً عند الأمراء والحكام، وإظهارهم الإنكار عليه ما يفتي به من الحلال والحرام .

فأثرت هذه الأقوال في قلوب بعض الناس من الخاصة والعامة عاداه أكثر السادات والعبيد كل بحسب غرضه الفاسد، وهو مع ذلك كلما رأى تحاشدهم في مباينته، وتعاضدهم في مناقضته، لا يزداد إلا للحق انتصاراً، ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهاراً .

ولم يمكن ما أصاب شيخ الإسلام من هذا إلا بلاء وامتحان له من رب العالمين ، فالمولى سبحانه وتعالى من سنته أن يتلي عباده الصالحين بأنواع البلاء ، فقد قال سبحانه : { أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) } سورة العنكبوت .

وقال سبحانه : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) } سورة البقرة .

ولم يكن ابتلاء شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) بعداوة الناس له فحسب ، بل بأكثر من ذلك ، فقد سجن أزماناً وأعصاراً وسنين وشهوراً، ولم يولهم دبره فراراً ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً، وأوسعوا حيلهم عليه إعلاناً وإسراراً، فجعل الله حفظه منهم له شعاراً ودثاراً، ولقد ظنوا أن في حبسه مشينة، فجعله الله له فضيلة وزينة، وظهر له يوم موته ما لو رآه واده أقر به عينيه، فإن الله تعالى لعلمه بقرب أجله ألبسه الفراغ عن الخلق للقدوم على الحق أجمل حلله، كونه حبس على غير جريرة ولا جريمة، بل علقوة في الحق وعزيمة .

هذا مع ما نشر الله له من علومه في الآفاق وبهر بفنونه البصائر والأحداق، وملاً بمحاسن مؤلفاته الصحف والأوراق، كتباً ورغماً للاعداء أهل البدع المضلة والاهواء .

أيها المستمعون الكرام ، لم يبلغ أحد ممن عاصر شيخ الإسلام ابن تيمية مكانته ، فقد جعله حجة في عصره، لطلبه الحق وتمسكه به ، وهذا أمر قد اشتهر وظهر، فإنه (رحمه الله) ليس له مصنف ولا نص في مسألة، ولا فتوى، إلا وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلي

والعقلي على غيره، وتحرى قول الحق المحض، فبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة يثلج قلبه . وتراه في جميع مؤلفاته إذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد .

وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفاً مع الكتاب والسنة، لا يصرفه عنهما قول أحد كائناً من كان، ولا يراقب في الأخذ بعلومهما أحداً، ولا يخاف في ذلك أميراً ولا سلطاناً ولا سوطاً ولا سيفاً ولا يرجع عنهما لقول أحد، وهو متمسك بالعروة الوثقى . وعامل بقوله تعالى: { فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً } .

وبقوله تعالى: { وما اختلفتم فيه من شئ فحكمة إلى الله } .

ولما من الله عليه بذلك جعله حجة في عصره لأهله، حتى أن أهل البلد البعيد عنه كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم ويعولون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه، فيشفي صدورهم بأجوبته المسددة، حتى إذا وقف عليها كل محق ذو بصيرة وتقوى ممن قد وفق لترك الهوى أذعن بقبولها، وبأن له حق مدلولها.

وما كان ذلك كذلك إلا لما علم الله سبحانه من حسن طوية هذا الامام وإخلاص قصده وبذل وسعه في طلب مرضاة ربه ومتابعة سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

وهذا المنهج القويم الذي سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) المتبع فيه لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) هو الذي يجب أن يسير عليه علماء الأمة وطلب العلم فيها .

وبالأخص طلبة الشباب الذين ما زالوا في بداية الطريق فلا بد لهم من التأمل والتفكير في سير العملاء الأفذاذ الذي وفقهم الله للحق فاتبعوه ودعوا إليه ، ولو خالفهم في ذلك ما خالفهم من الخلق ، فتحملوا في ذلك ما واجههم فصبروا واحتسبوا ، مبتغين في ذلك وجه الله والدار الآخرة ، معرضين عنالدنيا وزخرفها .

ولو تأملنا في هذا الزمان لوجدنا من غرته الدنيا ولعبت به الأهواء ، فانصرف عن الحق إلى الباطل ، وعن قول الله ورسوله إلى إقوال الرجال ، نعوذ بالله من سوء الحال .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.